﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود: 77]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تهيئةُ القصَّةِ للقصَّةِ مسلكٌ بديعٌ للانتقالِ بين قَصَصِ القرآنِ

لمّا ذكرَ في الآياتِ السّابقةِ قصَّةَ إبراهيمَ ﷺ مع الملائكةِ الكرام، وكان فيها التَّصريحُ بأمرين: أنَّهم أُرسلوا إلى قوم لوطٍ، والتَّبشيرِ بالولدِ، فكان الرّابطَ بين القصَّتين أنَّهما في زمانٍ متقاربٍ، وعلاقةُ لوطٍ بإبراهيمَ عليهما الصَّلاة والسَّلام والتَّوطئةُ لهذه القصَّةِ في الآيات السّابقةِ، وتشابهُ مطْلعِ القصَّتين، حيثُ لم يَعرفْ إبراهيمُ ولوطٌ ﷺ أنَّ الأضيافَ ملائكةٌ ابتداءً، بل بعدَ الخوفِ والضِّيقِ، فكان ذِكْرُ هذهِ القصَّةِ مناسبًا أشدَّ المناسبةِ بعد القصَّةِ السّابقةِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سِيٓءَ﴾: "السُّوءُ نعتٌ لكلِّ شيءٍ رديءٍ، ساء يَسُوءُ، لازمٌ ومجاوزٌ، وساء الشَّيءُ: قَبُحَ، فهو سَيِّئٌ، والسُّوء: اسمٌ جامعٌ للآفاتِ والدّاء.. السَّيِّئُ والسَّيِّئَةُ: عملانِ قبيحانِ، يصيرُ السَّيِّئُ نعتًا للذَّكَر من الأعمال، والسَّيِّئَةُ للأنثَى"[1]، وهو "كلُّ ما يَغُمُّ الإنسانَ من الأمورِ الدُّنيويَّةِ، والأخرويَّةِ، ومن الأحوال النَّفسيَّةِ، والبدنيَّةِ، والخارجةِ، من فوات مالٍ، وجاهٍ، وفقْدِ حميمٍ، وقولُه: ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه: 22]؛ أي: من غيرِ آفةٍ بهِ... ﴿سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: 77]: حلَّ بهم ما يسوؤهم"[2].

2) ﴿وَضَاقَ﴾: "الضّادُ والياءُ والقافُ كَلِمَةٌ واحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى

(1) الخليل، العين: (سوأ).
(2) الراغب، المفردات: (سوأ).

خِلافِ السَّعَةِ، وذَلِكَ هُو الضِّيقُ"[1]، "ويُقالُ: الضَّيْقُ أيضًا، والضَّيْقَةُ تُستعملُ في الفَقْرِ والبُخلِ والغَمِّ ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: 77]؛ أي: عجَزَ عنهم، وقال: ﴿وَضَآيِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12]، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ [الشعراء: 13]، ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125]، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: 25]، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾"[2].

3) ﴿ذَرْعًا﴾: "الذَّرْعُ مَصْدَرُ ذَرَعَ البَعِيرُ بِيَدَيْهِ في سَيْرِهِ؛ إذا سارَ عَلَى قَدْرِ خَطْوِهِ، مَأْخُوذٌ منَ الذِّراعِ، ثُمَّ وُضِعَ مَوْضِعَ الطّاقَةِ، فَقِيلَ: ضاقَ بِهِ ذَرْعًا"[3]، "والذَّرْعُ: الطّاقَةُ، وضاقَ بالأمْرِ ذَرْعُهُ وذِراعُهُ؛ أي: ضعُفَت طاقتُهُ، ولَمْ يَجِدْ منَ المَكْرُوهِ فِيهِ مَخْلَصًا، ولَمْ يُطِقْهُ، ولَمْ يَقْوَ عَلَيْهِ، وأصلُ الذَّرْعِ إنَّما هُو بَسْطُ اليَدِ، فكأنَّكَ تُرِيدُ مَدَدْتُ يَدِيْ إليه، فَلَمْ تَنَلْهُ... وضاقَ بِهِ ذَرْعًا: مِثْلُ ضاقَ بِهِ ذِراعًا، ونصْبَ ذرْعًا؛ لأنَّه خَرَجَ مفسِّرًا مُحَوَّلًا؛ لأنَّه كانَ في الأصل ضاقَ ذَرْعي بِهِ، فَلَمّا حُوِّلَ الفِعْلُ؛ خَرَجَ قَوْلُهُ ذَرْعًا مُفَسِّرًا، ومِثْلُهُ طِبْتَ بِهِ نَفْسًا، وقَرَرْتَ بِهِ عَينًا، والذَّرْعُ يُوضَعُ مَوْضِعَ الطّاقَةِ... ويُقالُ: ما لِي بِهِ ذَرْعٌ ولا ذِراعٌ، أي: ما لِي بِهِ طاقَةٌ"[4].

4) ﴿عَصِيبٌ﴾: "العَصَبُ: أطنابُ المفاصِلِ التي تُلائِمُ بينَها وتَشُدُّها، وليس بالعَقَبِ، ولحمٌ عَصِبٌ: صُلْبٌ كثيرُ العَصَبِ، والعَصَبُ: الطَّيُّ الشَّديدُ، ورجلٌ مُعْصَوْصِبُ الخَلْقِ كأنَّما لُوِيَ لَيًّا"[5]، و"عَنِ الفرّاءِ قالَ: يَوْمٌ عَصِيبٌ، ويَوْم عَصَبصَبٌ؛ أي: شَدِيدٌ"، "وقِيلَ: هُو الشَّدِيدُ الحرِّ، ولَيْلَةٌ عَصِيبٌ، كَذَلِكَ، ولَمْ يَقُولُوا: عَصَبْصَبةٌ... وقيل هُو مُشْتَقٌّ منْ قَوْلِكَ: عَصَبْتُ الشَّيءَ؛ إذا شَدَدْتَهُ، ولَيْسَ ذَلِكَ بِمَعْرُوفٍ... وقيل هُو مأْخوذٌ منْ قَوْلِكَ: عَصَبَ القومَ أمْرٌ يَعْصِبُهم عَصْبًا؛ إذا ضَمَّهُم، واشْتَدَّ عَلَيْهِمْ... يومٌ عَصَبْصَبٌ باردٌ ذُو سَحابٍ كَثِيرٍ، لا يَظْهَر فِيهِ منَ السَّماءِ شيءٌ، وعَصَبَ (عَصِبَ) الفَمُ يَعْصِبُ عَصْبًا وعُصُوبًا: اتَّسَخَت أسنانُه منْ غُبارٍ، أو شِدَّةِ عَطَشٍ، أو خَوْفٍ، وقِيلَ: يَبِسَ ريقُهُ، وفُوهُ عاصبٌ، وعَصَبَ الريقُ بِفيهِ، بِالفَتْحِ، يعْصِبُ عَصْبًا، وعَصِبَ: جَفَّ، ويَبِسَ عَلَيْهِ"[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضيق).
(2) الراغب، المفردات: (ضيق).
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 6/174.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (ذرع).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (عصب).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (عصب).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الشُّعورُ بآثارِ المنكرِ الصّادرِ عن المجتمعِ يأتي من عظيمِ الإيمانِ وكبيرِ الإحسانِ

أخبرتِ الآيةُ عن مجيءِ الملائكةِ الكرام لوطًا ﷺ دونَ إخبارِه بحقيقةِ أمرِهم، فظنَّهم أضيافًا، وهنا وقعَ الضِّيقُ، واشتدَّ الكَرْبُ؛ لما سيُلاقيهِ من قومِه من مراودتِه عن ضيفِه، فالآيةُ تُبيِّنُ حالةً فريدةً من أحوالِ الأنبياءِ مع أقوامهم، وفيها أنَّ قومَهُ استحلُّوا الفاحشةَ، بل جعلوها منهجَ حياةٍ في التَّعامُلِ مع الرِّجال رضًا وجَبرًا، وقد وصفَ اليومَ بأنَّه عصيبٌ؛ أي: شديدٌ لما فيه من هولِ الأمرِ، وشدَّةِ الوقْعِ، ومرارةِ الموقفِ.

"وفي اسم ﴿لُوطًا﴾ وجهانِ: أحدُهما: أنَّه اسمٌ أعجميٌّ، وهو قولُ الأكثرين. الثّاني: أنَّه اسمٌ عربيٌّ مأخوذٌ من قولِهم: لُطْتُ الحَوْضَ؛ إذا ملسْتَهُ بالطِّينِ"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ العطفِ:

عطفُ القصَّةِ على القصَّةِ إبانةٌ للتَّرابطِ الكليِّ والاشتراكِ بينَ المعطوفَين

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾، من عطفِ القصَّةِ على القصَّةِ، وهو ما تقضي بهِ البلاغةُ، وفي هذه العبارةِ إيجازٌ بالحذْفِ تقديرُهُ: "فَفارَقُوا إبْراهيمَ، وذَهَبُوا إلَى لُوطٍ ﷺ فَلَمّا جاؤوا لُوطًا، فَحَذَفَ ما دَلَّ عَلَيْهِ المَقامُ إيجازًا قُرْآنِيًّا بَدِيعًا"[2]، فعطفتِ الآيةُ قصَّةَ لوطٍ ﷺ على القصَّةِ السّابقةِ، لما بينَهما من ترابطٍ، والعطفُ يقتضي الاشتراكَ بين المعطوفَيْن، وتحتملُ الواوُ أن تكونَ استئنافيَّةً، على ابتداءِ معنًى كليٍّ مرتبط بالسّابقِ.

معنى ﴿وَلَمَّا﴾:

(ولما) رابطةٌ بين مجيءِ الملائكةِ ووقوعِ المساءةِ

﴿وَلَمَّا﴾ أداةُ ربْطٍ بين شرطٍ وجزاءٍ، تُفيدُ اتِّصالَ جوابِها بشرْطِها زمنًا، فهي حينيَّةٌ رابطةٌ، وكلُّ اتِّصالٍ يكون بحسَبِهِ، كالزَّمنِ بين

(1) الماوردي، النكت والعيون: 2/490.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/124.

مجيءِ الرُّسل ووقوع المساءةِ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾، فيُقدَّرُ بحسبِ العُرفِ والعادةِ وما يُتصوَّرُ، لكنَّ استعمالَها في هذا السِّياقِ دليلٌ على سرعةِ وقوعِ الجوابِ.

دلالةُ تأنيثِ فعلِ المجيءِ:

التَّأنيثُ فيه إشارةٌ إلى لفظِ الملائكةِ لتعيينِ المقصودِ بالرُّسُلِ

أُنِّثَ الفِعْلُ ﴿جَآءَتْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ نظرًا إلى معنى (الجماعة) وهي مؤنَّثٌ، والمعنى: ولما جاءتْ جماعةُ رسلِنا، وفي تأنيثِ الفعلِ إشارةٌ إلى معنى التَّأنيثِ في لفظ (الملائكة) الَّذين هم رسلُ اللَّه تعالى إلى الأنبياءِ، فالنَّظمُ يُوحي بتفسيرِ معنى الرُّسُلِ، كأنَّه قيلَ: (ولمّا جاءت ملائكتُنا)، ولو ذُكِّرَ الفعلُ ﴿جَآءَتْ﴾؛ لذهبَ الوهمُ إلى رُسلٍ آخرين من البشرِ، ولا مانعَ من ذلكَ؛ لأنَّ رُسلَ اللَّه تعالى في ذلك الزَّمانِ كانوا يتعاصرونَ وكلٌّ في بلدِه.

نكتةُ تعريفِ الرُّسلِ بالإضافةِ لضميرِ العظمةِ:

إضافةُ الرُّسُلِ إلى ضميرِ العظمةِ يُكسِبُهمُ التَّعريفَ والتَّشريفَ

المقصودُ بالرُّسُلِ في قولِه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ "الرُّسُلُ الَّذينَ بَشَّرُوا إبْراهيمَ بالولَدِ ﷺ"[1]، فكأنَّه قال: جاءتْ رسلُنا لوطًا الَّذين أرسلناهم إلى إبراهيمَ ﷺ فتحقَّقَ بذلك التَّعريفُ العهديّ، ولم يقل: (جاءتِ الرُّسلُ)؛ لإكسابِ الرُّسلِ تعظيمًا وإجلالًا ومهابةً، لاسيَّما أنَّهم أتَوا بعذابِ قومِ لوطٍ ﷺ فتحقَّقَ بهذه الإضافةِ التَّعريفُ والتَّشريفُ، بالإضافةِ لبيانِ أنَّ ما جاؤوا به هو أمرُ اللَّه تعالى الصّادرُ عن عظمتِه، فهم مجرَّدُ رسلٍ للَّه تعالى ولضميرِ العظمةِ في نفوسِ الخلقِ من الإجلالِ ما يجعلُ الرُّسلَ في الحصانةِ والأمانِ، ويجعلُهم من الثِّقَةِ في نظرِ النّاس بمكانٍ.

علَّةُ الفَصْلِ:

مَساءةُ لوطٍ ﷺ من مجيءِ الرُّسلِ دليلُ نُبلٍ وإشفاقٍ

جملةُ ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ جوابُ شرطٍ غيرِ جازمٍ، فهي لا محلَّ لها من الإعرابِ، ولذلك فُصِلت، ومن فوائدِ فَصْلِها تعيينُ أنَّها جوابُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/377.

﴿وَلَمَّا﴾، ولو قالَ: (وسيءَ بهم)؛ لكانت معطوفةً على جوابٍ مقدَّرٍ، وهذا غيرُ مرادٍ، وكذلك بيانُ أنَّ وقوعَ المساءةِ هو أوَّلُ حدثٍ بعد مجيءِ الرُّسُلِ، فإنَّ لوطًا ﷺ لمّا رآهم سِيءَ هو بسببِ قومه، أي: أصابَهُ سوءٌ عند رؤيةِ الملائكةِ بسببِ أخلاقِ قومهِ الرَّذيلةِ، وهذا على خلافِ أخلاقِهِ الحميدةِ، من حُبِّ استقبالِ الضِّيفانِ وإكرامهم، ففيهِ بيانُ أنَّ المؤمنَ يحرصُ على أضيافِهِ كحرصِهِ على أهلِهِ.

نكتةُ بناءِ فعلِ ﴿سِيٓءَ﴾ للمفعولِ:

بُنيَ الفعلُ ﴿سِيٓءَ﴾ للمفعولِ، ونائبُ الفاعلِ محذوفٌ، تقديرهُ: هو عائدٌ على لوطٍ ﷺ وأصلُه: (سُوِئَ)، نُقلت حركةُ الواوِ إلى السِّين بعد ذهابِ حركتِها، ثم قُلِبَتِ الواوُ ياءً[1]، ليتَّسقَ مع المعنى من حيثُ إنَّه يُفيد عمومَ جهاتِ المساءةِ، فإنَّه لمّا رأى الملائكةَ على هيئةِ بشرٍ؛ ساءتْ ظنونُهُ بقومهِ ممّا سيقعُ منهم تجاه الملائكةِ، والمقصودُ هو بيانُ أنَّ المساءةَ قد تحقَّقتْ بقطعِ النَّظرِ عن الفاعلِ، إذِ الفاعلُ الَّذي أوقعَ المساءةَ هو الظَّنُّ النّاشئُ عن معرفتِهِ بقومهِ، وهو ما يُرشِّحه السِّياقُ بلحاقِهِ؛ أي: ساءَتِ الظُّنونُ لِلُوطٍ عند رؤيةِ الملائكةِ بسببِ قومه، أو مجيءِ الملائكةِ على هيئةِ بشرٍ؛ أي: ساء مجيءُ الملائكةِ لوطًا بسببِ قومه.

ظنونُ المؤمنِ الصّادِرَةُ عن علمٍ وتجربَةٍ واقعٌ مُحقَّقٌ وأمرٌ ثَبتٌ

معنى حرفِ الباءِ:

الباءُ في قولهِ تعالى: ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ للسَّببيَّةِ، والجارُّ والمجرورُ متعلِّقٌ بفعل ﴿سِيٓءَ﴾؛ أي: سيءَ لوطٌ بهم؛ أي: بسببِ أخلاقِ قومهِ القبيحةِ أصابَ لوطًا ﷺ سوءٌ وخوفٌ، وذلك عند رؤيةِ الملائكةِ، فلمّا جاءتِ الملائكةُ الكرامُ لوطًا ﷺ "ساء ظنُّهُ بقومهِ، وضاقَ ذرعًا بأضيافهِ"[2]، "بسببِ خوفهِ عليهم أن يَجْرِيَ عليهم من قومهِ ما لا

الأفعالُ القبيحة سببُ مساءةِ النُّفوسِ المليحة

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 2/546.

(2) الماورديّ، النكت والعيون: 2/487.

يجوزُ في دين الله سبحانه فذلك الحزنُ كان لِحَقِّ الله تعالى لا لنصيبٍ له، أو حظٍّ لِنفسِهِ، ولذلك حُمدَ عليهِ؛ لأنَّ مُقاساةَ الحزنِ لِحَقِّ اللّه ﷻ محمودةٌ"[1].

فائدةُ العطْفِ:

المؤمنُ يُفكِّرُ بالحلولِ بعد نزولِ البلايا، ولا ينعزلُ في الزَّوايا

عُطِفَ قولُه تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ على قولِهِ تعالى: ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ لبيانِ حالتين مرَّ بهما لوطٌ ﷺ وكلتا الحالتين داخليَّةٌ نفسيَّةٌ، فالأولى هي ما أصاب لوطًا ﷺ من المساءةِ بسببِ معرفتِهِ بقومِهِ، وأنَّهم سيرتكبونَ حماقةً جسيمةً في حقِّ ضيفِهِ، والأخرى هي الضِّيقُ الشَّديدُ بسبب ما يجولُ في فكرِهِ من كيفيَّةِ التَّخلُّصِ من هذه المصيبةِ، ففائدةُ العَطْفِ بيانُ ترتُّبِ الضِّيقِ على المساءةِ، فهو لم يتركِ الأمرَ بدون تفكيرٍ لإنقاذِ ضيفِهِ من شرٍّ قادمٍ، بل سارعَ في ذلك لكنَّهُ بلغَ إلى درجةِ الضِّيق لعدم امتلاكِهِ الطّاقةَ والقدرةَ على صُنعِ شيءٍ.

بلاغةُ الاستعارةِ التَّمثيليَّةِ:

بيانُ ضعفِ لوطٍ ﷺ على دفْعِ مكروهٍ هو أعتى من قُدْرتِهِ وقوَّتِهِ

في استعمالِ التَّركيبِ ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ استعارةٌ تمثيليَّة بديعةٌ، وهو كنايةٌ كذلك، فالذَّرْعُ: "مصدر مأخوذ من الذِّراعِ، ولمّا كان الذِّراعُ موضع قوّةِ الإنسانِ، قيل في الأمرِ الّذي لا طاقة له به: ضاق بهذا الأمرِ ذراعُ فلان، وذرعُ فلان؛ أي: حيلتُهُ بذراعِهِ، وتوسّعوا في هذا حتّى قلبوهُ فقالوا: فلان رحبُ الذِّراعِ؛ إذا وصفوهُ باتِّساعِ القدرةِ"[2]، "فإذا أُسنِد إلى الآدميِّ؛ فهُو تقديرُ المسافةِ، وإذا أُسنِد إلى البعيرِ؛ فهُو مدُّ ذراعيهِ في السّيرِ على قدرِ سعةِ خُطوتِهِ، فيجُوزُ أن يكُون (ضاق ذرعًا) تمثيلًا بحالِ الإنسانِ الّذي يُريدُ مدّ ذراعِهِ، فلا يستطِيعُ مدّها، كما يُريدُ، فيكُونُ ذرعُهُ أضيق من مُعتادِهِ.

(1) القشيريّ، لطائف الإشارات: 2/148.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/193.

ويجُوزُ أن يكُون تمثيلًا بحالِ البعيرِ المُثقلِ بالحِملِ أكثر من طاقتِهِ، فلا يستطِيعُ مدّ ذِراعيهِ، كما اعتادهُ، وأيًّا ما كان؛ فهُو استِعارة تمثِيليّة لِحالِ من لم يجِد حِيلةً في أمر يُرِيدُ عملهُ؟ بِحالِ الّذِي لم يستطِع مدّ ذِراعِهِ كما يشاءُ"[1]، فـ "وجهُ التّمثيلِ أنّ القصير الذِّراعِ لا ينالُ ما ينالُهُ الطّويلُ الذِّراعِ، ولا يُطيقُ طاقتهُ، فضُرب مثلًا للّذي سقطت قوّتُهُ، دون بلوغِ الأمرِ والاقتدارِ عليهِ"[2]، وهذا التّركيبُ كذلك "كناية عن شِدّةِ الانقباضِ للعجزِ عن مدافعةِ المكروهِ والاحتيالِ فيهِ"[3].

دلالةُ حذفِ الفاعلِ:

لَقَد تنوَّعَ بناءُ الفعلين المتعاطفين: ﴿سِيٓءَ﴾ و﴿وَضَاقَ﴾، فالأوَّلُ مَبنيٌّ للمفعولِ، والآخَر مبنيٌّ للفاعلِ المحذوفِ، والفاعلُ في الفعلين واحدٌ: وهو لوطٌ عليه السلام ولم يُذْكَرِ الفاعلُ لمعرفتِه، ولبيانِ ما أصابَهُ من مساءةٍ وضيقٍ، ولتصويرِ مَشْهَدِهِ في تلكَ الحالِ العسيرةِ والموقفِ الحَرِجِ.

اجتماعُ المساءةِ والضِّيقِ في شخصٍ واحدٍ وفي زمنٍ مُتَّحِدٍ

سرُّ التَّعبيرِ بالتَّمييزِ المحوَّلِ عَنِ الفاعلِ:

أصلُ التَّعبيرِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: "(ضاق ذرعُهُ بسببِهِم)؛ أي: بسببِ مجيئِهِم، فحوّل الإسناد إلى المُضافِ إليهِ، وجعل المُسند إليهِ تمييزًا؛ لأنّ إسناد الضِّيقِ إلى صاحبِ الذّرعِ أنسبُ بالمعنى المجازيِّ، وهُو أشبهُ بتجريدِ الاستعارةِ التّمثيليّة"[4]، فالتّمييزُ محوّل عن الفاعلِ، وسرُّ ذلك هو العنايةُ بالملائكةِ، إذ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ العائدِ على الملائكةِ دليل على الحالةِ الّتي ضاق بها لوط عليه السلام بسبب الملائكةِ، ولو قال: (وضاق ذرعُه بهم)؛ لانصرفتِ العنايةُ إلى نفسِه، والتّأفُّفِ من الضِّيفانِ، فإنّ المؤمن إن جاءهُ ضيوف اتّسع

إظهارُ تمامِ عنايةِ لوطٍ عليه السلام بالملائكةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/124.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 6/119.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/142.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/124.

لهم، ووسّع، لكنّ المشهد انعكس في هذه الحالةِ، بسببِ قومهِ، فضاق بالملائكةِ؛ لأنّهُ يبغي كامل العنايةِ بِهم ذرعًا.

بلاغةُ ترتيبِ الجُملِ:

جـاءتِ الجُملُ عـلى مُـقْـتـضى الظّاهرِ والحالِ ترتيبًا وجودِيًّا

الجُملُ في قولِهِ تعالى: ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ جاءت مرتّبةً ترتيبًا بليغًا، و"من بديعِ ترتيبِ هذهِ الجُملِ أنّها جاءت على ترتيبِ حُصُولِها في الوُجُودِ، فإنّ أوّل ما يسبقُ إلى نفسِ الكارِهِ لِلأمرِ أن يُساء بِهِ، ويتطلّب المُخلِّص منهُ، فإذا علِم أنّهُ لا مُخلِّص منهُ؛ ضاق بِهِ ذرعًا، ثُمّ يُصدِرُ تعبيرًا عنِ المعاني وترتيبًا عنهُ كلامًا يُريحُ بِهِ نفسهُ.

وتصلُحُ هذهِ الآيةُ لِأن تكُون مثالًا لِإنشاءِ المُنشِئِ إنشاءهُ على حسبِ ترتيبِ الحُصُولِ في نفسِ الأمرِ، هذا أصلُ الإنشاءِ ما لم تكُن في الكلامِ دواعِي التّقدِيمِ والتّأخِيرِ ودواعِي الحذفِ والزِّيادة"[1].

بلاغةُ تعريفِ المسندِ إليهِ باسمِ الإشارةِ:

اسـمُ الإشـارةِ فيه تنفيسٌ عن الـكـربِ والـهـمِّ الـــذي أحـــاطَ بلوطٍ عليه السلام

أفادَ اسمُ الإشارةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ ضَمَّ الأحداثِ الَّتي حصَلَتْ عند مجيءِ الملائكةِ واستِجْماعِها في الزَّمنِ، ثمَّ الإشارةُ إليهِ بهذا لتشخيصِهِ وتجسيدِهِ، بغرضِ إظهارِ ما فيهِ من الشُّعورِ بالبلاءِ، إذ إنَّه سيُدافِعُ قومَهُ عن ضيفِهِ[2]، وفي اسم الإشارةِ تنفيسٌ عنِ الكربِ والهمِّ والغمِّ الَّذي أحاطَ بلوطٍ عليه السلام فهذا القولُ "قالَهُ عليه السلام في نَفْسِهِ، كَما يُناجِي المَرْءُ نَفْسَهُ؛ إذا اشْتَدَّ عَلَيْهِ أمْرٌ"[3]؛ بسببِ الفضيحةِ الَّتي سيجلبُها قومُهُ لَهُ[4]، وبسببِ المعصيةِ الَّتي ستُرتَكَبُ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/125.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/336.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/125.
(4) الماوردي، النكت والعيون: 2/487.

دلالةُ ذِكْرِ لفظِ اليوم:

دلَّ ذِكْرُ اليوم في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ على أنَّ مجيءَ الرُّسلِ كانَ في النَّهارِ[1]، وهو المناسِبُ لشدَّةِ المساءةِ والضِّيقِ، فلو كانَ ليلًا؛ لقلَّت مشقَّةُ التَّصرُّفِ في السَّترِ والخفاءِ.

سرُّ إيثارِ الألفاظِ على مرادفاتِها:

جَمْعُ لفظِ عصيبٍ بين الشِّدَّةِ والضِّيق بصيغةِ مبالغةٍ متَّفِقةٍ مع السِّياقِ

"أصْلُ هَذِهِ المادَّةِ ﴿عَصِيبٌ﴾ يُفِيدُ الشِّدّة والضّغط، وأراد: أنّهُ سيكُونُ عصيبًا لِما يعلمُ من عادةِ قومِهِ السّيِّئةِ"[2]، وقد اقتضى النّظمُ الكريمُ وصف اليوم بالعصيبِ؛ لأنّ هذه الصِّفة تجمعُ معنى الشِّدّة والضِّيقِ والضّغطِ، فعصابةُ الشّيءِ تدورُ حولهُ، وتلفُّهُ، وتُحيطُ بهِ، فهو "يعصِبُ النّاس بالشّرِّ"[3]، فهي تؤازِرُ بمادّتها اللُّغويّةِ المصوِّرةِ السِّياق، وقد جاء الوصفُ على صيغةِ المبالغةِ؛ لبيانِ شِدّةِ هولِهِ، فيتّفِقُ مع سياقِ الآيةِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العصيبُ والشَّديدُ:

الشَّديدُ المترابطُ بصلابةٍ، والعصيبُ الشَّديدُ الضّاغط

الشِّدَّةُ في الأصْلِ هيَ مُبالغَةٌ في وصْفِ الشَّيْءِ في صلابةٍ، ولَيْسَ هُو من قبيلِ القُدْرَةِ، ولِهَذا لا يُقالُ للّه: شَديدٌ، والقُوَّةُ من قبيلِ القُدْرَةِ[4]، أمّا العصيبُ؛ فهو وصفٌ للشَّيْءِ بالشِّدَّةِ والضَّغطِ، من العصَبِ الَّذي هو "أطنابُ المفاصلِ التي تُلائمُ بينها"[5]، فهما متقاربانِ من حيثُ الدِّلالةُ، ويَظهرُ الفرْقُ بينهما بأنَّ الشَّديدَ المترابطُ بصلابةٍ، ولهذا قالَ سبحانه: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: 28]، أمّا العَصيبُ؛ فهو الشَّديدُ الضّاغطُ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/125.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/125.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 2/488.
(4) العسكري، الفروق اللغوية: 1/107.
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (عصب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»